كلية الآداب بسوهاج
قسم التاريخ

اسم الباحث: شعبان محمد محمود آدم
عنوان الرسالة:
(تطور صناعة القطن في مصر بين عامين ١٨٦٠ - ١٩٣٠م. وأثرها على النواحي الاقتصادية والاجتماعية)

لجنة الإشراف:

السيد الدكتور/ محمود حسن عبد العزيز الصراف	أ.م التاريخ الحديث
السيد الدكتور/ محمد المهدى سيد صديق	أ.م التاريخ الحديث

لجنة فحص الرسالة:

السيد أ.د/ عمر عبد العزيز عمر	أستاذ التاريخ الحديث ونائب رئيس جامعة الإسكندرية سابقا
السيد أ.د/ عاصم احمد الدسوقى	أستاذ التاريخ الحديث وعميد اداب حلوان سابقاً

تاريخ المناقشة / /

الدراسات العليا

ختم الإجازة

أجيزت الرسالة بتاريخ / /

موافقة مجلس الكلية
/ /

موافقة مجلس الجامعة
/ /

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي،
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي.

صدق الله العظيم

(من آية ٢٥ إلى الآية ٢٨ سورة طه)

إهداء

إليهـــا ..... رمز العطاء

والحب والخير والصفاء

إلى أمي :

أهدي هذا العمل وفاء وعرفانا.

كلية الآداب بسوهاج
قسم التاريخ

شكر وتقدير

أشكر السادة الأساتذة الذين قاموا بالإشراف وهم:

١ــ الأستاذ الدكتور/ محمود حسن عبدالعزيز الصراف

٢ــ الأستاذ الدكتور/ محمد المهدي سيد صديق

وكذلك جميع من تعاون معي في مراحل إعداد هذا البحث ومنهم:

١ــ الأستاذ الدكتور/ سمير طه

٢ــ الأستاذ الدكتور/ عاصم الدسوقي

الباحث

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة موضوع تطور صناعة القطن في مصر خلال الفترة ما بين عامي ١٨٦٠- ١٩٣٠م، ويرجع السبب في اختياري لهذه الفترة إلى خصوصيتها في تاريخ مصر الاقتصادي الحديث، وبالتالي تأثرها على النواحي السياسية والاجتماعية.

كما يرجع سبب تحديد نقطة البداية بعام ١٨٦٠ حيث إن هذا العام قد شهد نشوب الحرب الأهلية الأمريكية، والتي كان لها تأثير مباشر في الاهتمام بزراعة القطن في مصر، ومن ثم الاهتمام بمراحل تصنيعه الأولى من حلج وكبس حتى النشر في مصر بين المزارعين ما يصح أن نسميه "النمى القطنية".

وأما السبب في تحديد نقطة النهاية عند عام ١٩٣٠ فهذا العام قد شهد نهاية آخر المعاهدات التي تكبل يد الاقتصاد المصري، ومن ثم وضعت تعريفة جمركية جديدة كان لها الفضل في النهوض بالصناعات المصرية وبالأخص صناعة الغزل والنسيج.

وقد شهدت مصر خلال فترة الدراسة- والتي امتدت على مدى سبعين عاماً- أحداثاً جساماً، سواء في النواحي الاقتصادية والسياسية، كان لها دورها في حدوث تغيرات في الهياكل الاقتصادية لمصر، وتغير أنماط التصنيع والاستهلاك داخل البلاد.

وتعتبر الحرب الأهلية الأمريكية من الحوادث المؤثرة في التاريخ الاقتصادي لمصر منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن يتخطاها.

كما كان من الأحداث البارزة قيام الثورة العرابية، واحتلال الإنجليز لمصر، الذين رسموا لأنفسهم سياسة اقتصادية مجحفة للمصريين، وزوجوا منذ أن وطأت أقدامهم أرض مصر تمقوله أن مصر بلد زراعي فقط لا تستقيم به صناعة مما كان له أكبر الأثر في الاهتمام بالزراعة، وعلى الأخص زراعة القطن، والذي كان عماد الصناعات النسيجية البريطانية.

كما كان لإعلان تأسيس بنك مصر في ٣ من مايو ١٩٢٠ دوراً بارزاً في ظهور أهمية رأس المال الوطني وقيام صناعة وطنية.

وقد رأيت اختيار موضوع صناعة القطن في هذه الفترة، وأثر الأحداث عليها، إذ واجهت الصناعة المصرية ظروفاً متناقضة أدت إلى إزدهارها وتقدمها تارة، وإلى تدهورها وتخلفها تارة أخرى، ومما لاشك فيه أن لدراسات التاريخية لها أهمية كبرى وفائدة عظيمة في التعرف على التجارب السابقة ومحاولة الاستفادة منها.

وقد حاولت تتبع الظروف والعوامل الداخلية والخارجية التي أثرت على الصناعة القطنية المصرية سلباً وإيجاباً خلال فترة الدراسة، وذلك من خلال عرض تاريخي وثائقي، هادفاً من ذلك إبراز الأسباب التي أدت إلى ركود وتدهور هذه الصناعة في بعض المراحل، وإلى انتعاشها ونهوضها في مراحل أخرى.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة وتشمل محافظ مجلس الوزراء الخاصة بالوزارات المختلفة، ومجموعة محافظ عابدين وأيضاً سجلات الوابورات البخارية والماكينات والفابريقات الخاصة بالدائرة السنية وسجلات مصلحة التركات ودفاتر الأوامر الكريمة الصادرة من الحكام إلى جهات مختلفة، ودفاتر المجلس الخصوصي.

وفي الحقيقة فقد أفادتني هذه الوثائق كثيراً في تغطية جوانب عديدة من الدراسة إلى جانب المصادر والمراجع حتى تكتمل جوانب البحث المختلفة، كما استعنت ببعض الصحف والمجلات الصادرة في هذه الفترة مثل الوقائع المصرية السياسية الأسبوعية والأهرام ، والأهرام الاقتصادي، ومصر الصناعية ومجلة الغرفة التجارية المصرية، وقد أعطت لنا هذه الصحف والمجلات صورة حية عن الحياة اليومية في مصر خلال فترة الدراسة .

وقد واجهتني كثير من الصعوبات خلال فترة الدراسة منها طول الفترة الزمنية فقد امتدت فترة الدراسة على مدى سبعين عاماً، كانت مليئة بالأحداث الكثيرة والتي كان لها أثرها البالغ في حياة مصر والمصريين، كذلك تضارب السياسة الصناعية لحكام مصر خلال هذه الدراسة، فبينما نجد أنه كانت هناك نهضة صناعية عظيمة في عهد محمد علي باشا، إلا أننا نجد أن عصر عباس يتسم بالركود والتخلف الصناعي وطرده للأجانب، وإغلاق العديد من المنشآت الصناعية بالوجه القبلي.

ثم يأتي بعد ذلك سعيد والذي يحاول النهوض ببعض الصناعات، ويفتح باب مصر على مصراعيه أمام الأجانب، وهو أول من أدان الخزانة المصرية، فقد كان كريماً لدرجة السفه والتفريط، عظيم الثقة في الأجانب لحد نسيان أركان السيادة اللازمة له ولحكومته في معاملاته وتعاقده مع الغربيين، لذا فقد جاء في عهده من كل أنحاء أوربا المحتالون والطامحون والباحثون عن الثراء وتدفقوا بأعداد كبيرة، وهم الذين لم يكن يهمهم إلا الثراء السريع والاكتناز المال من أي سبيل.

وفي عهد إسماعيل حدثت نهضة صناعية عظيمة شاملة، وبخاصة في مجال تصنيع القطن حيث إنه تولى الحكم في بداية الحرب الأهلية الأمريكية، ونظراً لضخامة المشروعات فقد لجأ إسماعيل للاستدانة لتنفيذ هذه المشروعات، وركن إلى الأجانب، وكان ذلك من أسباب

عجزه عن سداد ديونه، وأدى بالتالى فى النهاية إلى خلعه، ثم تولى توفيق حكم مصر، وتوالت أحداث الثورة العرابية ويحتل الإنجليز مصر، ولم يول توفيق أى اهتمام بالصناعة وترك الحبل على الغارب للإنجليز يتصرفون كيفما شاءوا فى مصر واقتصادها وصناعتها، والعمل على تنفيذ مخطط بريطانيا فى مصر والذى يتلخص فى تحويل مصر إلى مزرعة قطن كبيرة تمد بريطانيا بما تحتاجه من هذه المادة الخام الهامة.

وهكذا استمرت هذه السياسة البريطانية فى محاربة كل محاولة للتصنيع حتى نهاية فترة البحث .وقد كان لتباين موضوعات البحث أثر فى الإطلاع على العديد من الوثائق للحصول على المادة العلمية، مما كان له أكبر الأثر فى بذل الجهد للوصول إلى الحقيقة التاريخية بقدر الإمكان.

وقد يثير الاعتماد على الوثائق مشكلة أمام الباحث، إذ أن المادة المنتقاة من مئات الوثائق لا تشكل موضوعات متكاملة، فكان علىّ أن أصوغ من هذه المادة المتناثرة موضوعات البحث ، وهذا يحتاج إلى وقت طويل.

ومن الصعوبات أيضاً التكرار فى بعض الوثائق، فقد نجد الوثيقة الواحدة مكررة أكثر من مرة فى أكثر من محفظة، وفى ذلك مضيعة للوقت والجهد.

وقد راعيت فى تقسيم فصول البحث أن يكون تقسيماً زمنياً، حيث إن دراسة هذا البحث تحتاج إلى دراسة زمنية تحليلية، ومن ثم فقد قسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول.

تناول التمهيد حالة القطن فى مصر منذ العهد الفرعونى وكتابات الجغرافيين العرب عنه ثم اسم القطن فى مختلف اللغات الأوربية، وأغلب الظن أنه مشتق من الإسم العربى له ثم أصناف القطن ورتبه وأسواقه ثم تاريخ حلج القطن من آلة الجركا حتى إختراع "إيلى وتينى Eli Whitney" للدولاب الإسطوانى فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٩٢. ثم تطور كبس القطن وانقسامه إلى نوعين: كبس مائى وكبس بخارى.

ثم تناولت زراعة وصناعة القطن فى عهد محمد على باشا وخلفائه حتى عام ١٨٦٠ والذى يعتبر عام ١٨٢٠ بالنسبة للقطن المصرى فارقاً بين عهدين:

الأول: قبله حيث كان القطن المصرى عديم الجدوى ردىء لا يصلح إلا للنسيج.

الثانى: بعد هذا التاريخ حيث اكتشف "جومبل Jumel" الفرع الذى سمى باسمه، ولم يكتف الباشا بتصدير القطن خاماً بل قام ببناء العديد من مصانع الغزل والنسيج فى مختلف أنحاء الدولة - كجزء من برنامج تصنيعه الطموح - واستورد لذلك الآلات والعدد اللازمة من فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة، ويحسب له أنه نشر فنون الصناعة فى كافة أنحاء البلاد فلم تعد حكراً على فئة معينة أو مكان معين، لدرجة أن مصر عاشت فى عهده فى أفق جديد لنهضة صناعية جديدة، اعتمدت على أسس حديثة، لتطور لم تكن تعرفه من قبل.